

المحاضرة الثالثة

**وضع المصطلح العربي
في التراث العلمي للطب
والصيدلة والنبات**

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية
جامعة اليرموك - الأردن

السبت 5 ذو القعدة 1414 هـ - 16 نيسان 1994م

التَّوَّاصِلُ والتَّفَاعُلُ والتَّلَافُحُ والاتِّصَالُ بِمُخْتَلَفِ وَسَائِلِهِ بَيْنَ الْكِيَانَاتِ الْحَضَارِيَّةِ يُؤَدِّي إِلَى حُدُوثِ تَفَاعُلٍ فِي اللُّغَةِ، وَيُولِّدُ أَلْفَاظًا جَدِيدَةً تُطْلَقُ عَلَى أَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ لُغَةٍ مَا عَلِمَ بِهَا، أَوْ يُوجِبُ مُسَمِّيَاتٍ أجنبيَّةً كما هي، أَوْ بِشَيْءٍ مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّغْيِيرِ لِتَنَاسِبِ النُّطْقِ بِتِلْكَ اللُّغَةِ.

إِنَّ مَبْدَأَ الْأَخْذِ والعَطَاءِ بَيْنَ لُغَاتِ الْأُمَّمِ، لَا يَنْتَقِصُ مِنْ لُغَةٍ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ ضَعْفٍ فِي تَفْكِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِهَا، فَكُلُّ اللُّغَاتِ، مَهْمَا بَلَغَتْ مِنَ النُّمُوِّ والسُّمُوِّ وَالْكَمَالِ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ أَنْ تَأْخُذَ وَأَنْ تُطَوَّرَ مَدْلُولَ مَفْرَدَاتِهَا، أَوْ تَضَعُ مَفْرَدَاتٍ جَدِيدَةً لِأُمُورٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً وَمَوْجُودَةً عِنْدَهَا، بَلْ هِيَ دَلِيلُ حَيَوِيَّةٍ وَعَلَامَةٌ قُوَّةٍ وَتَكَامُلٍ فِي تِلْكَ اللُّغَةِ.

كَانَتْ عَوَامِلُ الاتِّصَالِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ كَثِيرَةً مُتَعَدِّدَةً؛ فَالْمُسْتَوَظَنَاتُ الْيُونَانِيَّةُ الَّتِي فِي سَوَاحِلِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَالرَّقِيقُ الْمَجْلُوبُ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالنَّشَاطُ التِّجَارِيُّ بِطُرُقِهِ وَأَنْوَاعِهِ، وَالِاحْتِكَاكُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْفُرسِ وَالرُّومَانِ وَالْيُونَانِ وَعَیْرِهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ قَدْ أَوْجَدَ حَاجَةً مُلِحَّةً، جَعَلَتْ الْعَرَبَ يَفْتَنِبِسُونَ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَيُدْخِلُونَهَا فِي لُغَتِهِمُ الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجَاحِظُ بِقَوْلِهِ: "أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا نَزَلَ فِيهِمْ نَاسٌ مِنَ الْفُرسِ، فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، عَفَفُوا بِالْأَلْفَاظِ مِنَ أَلْفَاظِهِمْ، وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَ الْبَطِيخَ، الْخِرْبِرَ، وَيُسَمُّونَ السَّمِيطَ، الرَّزْدَقَ^(١)، وَيُسَمُّونَ الْمَصُوصَ، الْمُرُورَةَ، وَيُسَمُّونَ الشُّطْرُنَجَ، الْأَشْتَرُنَجَ، وَعَیْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ"^(٢).

وَمِنَ الْجَدِيرِ ذِكْرُهُ: أَنَّ الْاهْتِمَامَ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ انْصَبَّ عَلَى الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ:

وَالْعِلْمُ مَا جَاءَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَاهُ فَوْسُوسِ الشَّيَاطِينِ

(١) ذكر أدي شير بان الرزدق هو الصف من الناس، والسطر من النحل، معزب رستته، انظر: معجم الألفاظ الفارسية المعربة 71.

(٢) البيان والتبيين 19/1.

ولهذا وَضَعَ الْمُصَنِّفُونَ عُلُومَ اللِّسَانِ مِنْ نَحْوِ وَبَيَانِ، وَاعْتَنَوْا بِالتَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ
وَالقِرَاءَاتِ دُونَ أَقْلٍ اِحْتِقَالٍ بِتَفْيِيدِ شَيْءٍ مِمَّا طَرَأَ عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بَعْدَ الفُتُوحِ
مُبَاشَرَةً إِلَّا فِيمَا نَدَرَ مِنْ مُلَابَسَةِ الأَعَاجِمِ، وَالاِئْتِقَالِ إِلَى لِيْنِ الحَضَارَةِ بَعْدَ خُسُونَةِ
البَدَاوَةِ، وَمَا عَلِقَ بِهِ عَلَى الأَثَرِ مِنَ الأَلْفَافِ الدَّخِيلَةِ وَالمُحَدَّثَةِ الَّتِي اِفْتَنَسَتْهَا حَاجَاتُ
المُلُكِ وَالسِّيَاسَةِ وَأَوْضَاعُ الدَّوَاوِينِ، أَوْ مَا دَعَتْ إِلَيْهِ مَرَافِقُ العِمْرَانِ مِنْ زِرَاعَةِ
وَتِجَارَةِ وَمِلَاحَةِ وَحِيَآكَةِ وَتَطْرِيزِ وَبِنَاءِ وَتَرْوِيقِ وَصِبَاغَةٍ، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الحَرْفِ
وَالفُنُونِ الَّتِي مَهَرَ بِهَا البَلَدِيُّونَ مِنْ رُومٍ وَفَرَسٍ وَأَنْبَاطٍ وَأَفْبَاطٍ وَهُنُودٍ وَغَيْرِهِمْ.
وَتَتَابَعَتِ الفُتُوحَاتُ وَتَوَسَّعَتِ المَمَالِكُ، وَدَانَتِ الشُّعُوبُ لِلْعَرَبِ، فَاخْتَلَطُوا
بِالْخُرَاسَانِيِّينَ وَالدِّيْلَمِ وَالأَثْرَاكِ وَالأَكْرَادِ، وَأَخَذُوا عَنْ كُلِّ هَؤُلَاءِ الأَعَاجِمِ عَادَاتٍ
وَمُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةً فِي المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ وَالمَلْبَسِ، وَالفَرَشِ وَالرِّيْنَةِ وَالحِلِيِّ
وَالأَدْوَاتِ وَالأَوَانِيِ وَالأَسْلِحَةِ وَالأَجْهَرَةِ وَالمَطْبِ وَالمَصِيدَلَةِ وَالكِتَابَاتِ وَالحُسْبَانَاتِ،
فَنَشَأَتْ لَهُمْ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ الحَضْرِيَّةِ خَوَاطِرُ وَتَصَوُّرَاتُ وَشُعُورٌ وَانْفِعَالَاتٌ. لَمْ
يَعْهَدُوا نَظِيرَهَا فِي البَادِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بُدٌّ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ المَعَانِيِ وَالأَعْيَانِ
المُسْتَحْدَثَةِ مِنْ نَقْلِ قِسْمٍ مِنْ أَلْفَافِهَا بَعْدَ تَعْرِيْبِهَا وَالتَّصْرُفِ بِهَا.
وَلَجَأُوا فِي تَأْدِيَةِ القِسْمِ الآخِرِ إِلَى الاِشْتِقَاقِ وَالتَّوَسُّعِ فِي المَعْنَى وَالكِنَايَةِ
وَالمَجَازِ.

وَكَانَ أَنْ تَشَطَّتْ حَرَكََةُ التَّرْجَمَةِ مِنَ الإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَمَدِينَةِ جُنْدِشَابُورَ وَغَيْرِهِمَا
مِنْ مَرَاكِزِ بَقَايَا الحَضَارَاتِ القَدِيمَةِ، عَلَى أَيْدِي المُتَرَجِّمِينَ، أَمْثَالِ جُورْجِيُوسِ بْنِ
جِبْرَائِيلَ، وَحَنِينِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَابْنِهِ إِسْحَاقَ، وَابْنِ أُخْتِهِ حُبَيْشِ بْنِ الأَعْسَمِ الأَعْسَرِيِّ
وَعَيْسَى بْنِ يَحْيَى، وَاصْطَفَانَ بْنِ بَاسِيْلَ، وَثَابِتَ بْنَ قُرَّةَ، وَخَالِدَ البِزْمَكِيَّ، وَيَحْيَى بْنَ
البَطْرِيْقِ وَآلِ بَحْنِيْشُوعَ وَغَيْرِهِمْ^(٣). إِذْ جَمَعَ هَؤُلَاءِ كُنْتَبَ الطَّبِّ وَالفَلْسَفَةِ وَالرِّيَاضَةِ
الْيُونَانِيَّةِ لِأَبْفَرَاطَ وَجَالِينُوسَ وَرُوفَسَ وَأَهْرَنَ القَسَّ وَبُولُسَ الأَجَانِيْبِيَّ، وَمَجْمُوعَاتٍ

(٣) النديم الوراق، الفهرست 291 (رضا - تجدد).

مِنْ كُنْبِ أَرْسُطُوطَالِيْسٍ وَبَطْلِينُمُوسَ الْقَلُودِيَّ وَدِيُوفِنُطِسَ. وَابْتَكَرَ هُوَ لِأَمْرِ الْمُصْطَلَحَاتِ عَرَبِيَّةً، ذَهَبَ الْبَعْضُ إِلَى وَصْفِ أَحَدِهِمْ، وَأَعْنِي حَنِينَ بْنَ اسْحَقَ، بَأَنَّهُ هُوَ مُبْتَكِرُ أَغْلَبِ الْمُصْطَلَحَاتِ الطَّبِيَّةِ (٤). وَاللَّافِتُ لِلنَّظَرِ، أَنَّ وَسِيلَةَ حَنِينَ فِي اسْتِقَاقِ الْمُصْطَلَحِ لَا تَخْتَلِفُ فِي مُجْمَلِهَا عَنِ قَوَانِينِ الْاسْتِقَاقِ وَعِلَلِهِ وَأَحْكَامِهِ فِي صِيغِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى وَزْنِ (فَعَلٍ) وَمُسْتَقَاتِهَا، مِثْلَ سَعَالٍ، وَجَرَبٍ وَسَبَلٍ وَجَمْرَةٍ وَمَفْدَحٍ وَمَقْرَاضٍ وَمِحْجَمَةٍ، وَأَحْيَانًا كَانَ حَنِينُ يَعودُ إِلَى الْمَجَازِ، فَقَدْ وَضَعَ لِمَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ اللَّغَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى، كَوَضَعِهِ شَعِيرَةً، لِذَمْلِ الْأَشْعَارِ، وَالْفَرْنِيَّةِ وَالشَّبْكِيَّةِ وَالْمَشِيمِيَّةِ وَالْمُنْتَحِمَةَ.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ ظَلَّتِ الْعَرَبِيَّةُ تُعَانِي حَاجَةً إِلَى الْمَسْمِيَّاتِ، فَلَمْ يَجِدْ ابْنُ سِينَا، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، مِنَ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ مَا يَصْلُحُ لِتَسْمِيَةِ الْأَمْرَاضِ؛ فَجَاهَدَ فِي تَكْوِينِ التَّرَاكِيِبِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ التَّسْمِيَةَ قَدْ تَلَحَّفَهَا مِنْ وُجُوهِ:

- إِمَّا مِنَ الْأَعْضَاءِ الْحَامِلَةِ لَهَا، كَذَاتِ الْجَنْبِ الصَّحِيحَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ وَرَمٍ فِي الْحِجَابِ، وَذَاتِ الْجَنْبِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ، إِذَا كَانَ الْوَرَمُ فِي الْعَضَلِ الْمُسْتَبْطِنِ (٥) وَذَاتِ الرَّئَةِ، وَانْتِثَارِ الْأَجْفَانِ وَغَيْرِهَا.

- وَإِمَّا مِنْ أَعْرَاضِهَا كَدَاءِ الصَّرَعِ وَدَاءِ الْكَلْبِ (وَيَكُونُ مَعَ غَضَبٍ مُخْتَلِطٍ بِلَعِبٍ وَعَبَثٍ وَإِيْدَاءٍ مُمْتَرَجٍ بِاسْتِعْطَافٍ كَمَا هُوَ طَبْعُ الْكَلْبِ) (٦)، وَالذُّوَارِ حَيْثُ يَنْخَلِ صَاحِبُهُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَدُورُ عَلَيْهِ وَأَنَّ دِمَاغَهُ وَبَدَنَهُ يَدُورَانِ، فَلَا يَمْلِكُ أَنْ يَنْبُتَ وَإِنَّمَا يَسْفُطُ (٧).

- وَإِمَّا مِنْ أَسْبَابِهَا كَقَوْلِهِمْ، مَرَضٌ سَوْدَاوِيٌّ وَمَرَضٌ صَفْرَاوِيٌّ.

(٤) انظر: أثر مدرسة جند يشابور في المصطلحات الطبية، لحنين بن إسحاق، نشر ضمن كتاب مهرجان أفرام حنين، بغداد، مطبعة المعارف، 1971م.

(٥) ثابت بن قره، الذخيرة في الطب، 60 (القاهرة 1928م).

(٦) ابن سينا، القانون في الطب، 63/2.

(٧) ابن سينا، القانون في الطب 63/2.

- وإِذَا مِنَ النَّسَبِ كَقَوْلِهِمْ دَاءُ الْأَسَدِ، وَدَاءُ الْفِيلِ، وَدَاءُ النَّعْلِبِ وَدَاءُ الْحَيَّةِ أَوْ دَاءُ الْفَطْرُبِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَالْنُحُولِيَا، يَعْرِضُ فِي شَهْرِ شُبَّاطِ، وَيَجْعَلُ الْإِنْسَانَ فَرَارًا مِنَ النَّاسِ الْأَحْيَاءِ، مُحِبًّا لِمَجَاوِرَةِ الْمَوْتَى وَالْمَقَابِرِ مَعَ سُوءِ قَصْدِ، يَبْرُزُ لَيْلًا وَيَخْتَفِي نَهَارًا، يُحِبُّ الْخَلْوَةَ وَالِابْتِعَادَ عَنِ النَّاسِ، وَالْفَطْرُبُ، طَائِرٌ يَجُولُ اللَّيْلَ كُلَّهُ لَا يَنَامُ، فَقَالُوا: أَحَوْلَ مِنْ فَطْرُبٍ وَأَسْهَرَ مِنْ فَطْرُبٍ^(٨).
- أَوْ مَنْسُوبًا إِلَى بَلَدٍ يَكْثُرُ حَدُوثُهُ فِيهِ كَقَوْلِهِمْ، الْقُرُوحُ الْبَلْخِيَّةُ وَحُبُوبُ النَّارِ الْفَارَسِيَّةِ وَعِرْقٌ مَدَنِيٌّ، وَهُوَ الْوَرْمُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْأَبْدَانِ الْقَشِيفَةِ وَالْبِلَادِ الْحَارَّةِ، تَخْرُجُ مَادَّتُهُ مُنْصَلَّةً عَلَكَةً، كَأَنَّهَا عُرُوقٌ تَمْتَدُّ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى تَفْنَى وَيُنْسَبُ إِلَى مَدِينَةٍ يَثْرِبُ لِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهَا^(٩).
- أَوْ مَنْسُوبًا إِلَى أَوَّلِ مَنْ يُذَكَّرُ أَنَّهُ عَرَضَ لَهُمْ، كَقَوْلِهِمْ: فُرْحَةٌ طَيْلَانِيَّةٌ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ طَيْلَانِي.
- وَقَدْ يُنْسَبُ إِلَى مَنْ كَانَ مَشْهُورًا بِالْإِنْجَاعِ فِي مُعَالَجَتِهَا كَالْفُرْحَةِ السَّبْرُوتِيَّةِ.
- وَإِذَا مِنْ جَوَاهِرِهَا وَذَوَاتِهَا كَالْحَمَى بِأَنْوَاعِهَا، وَالْوَرَمِ.
- وَإِذَا خُصَّصَ تَخْصِيصًا مُتَعَارَفًا عَلَيْهِ، مِثْلَ مُصْطَلَحِ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَهُوَ كُلُّ مَا يُحَدِّثُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَخُصَّصَهُ الْأَطِبَّاءُ بِالْحَدِيثِ الرَّدِيِّ الْمَوْجِسِ لِلنَّفْسِ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي ابْتِدَاءِ الْمَالْنُحُولِيَا^(١٠).
- أَمَّا عَلَى صَعِيدِ النَّبَاتِ فَكَانَتْ الْمَسْأَلَةُ أَعْقَدَ؛ (إِذْ إِنَّ تَحْدِيدَ النَّبَاتِ، وَتَحْدِيدَ أَصْنَافِهِ، وَاخْتِلَافَ طَبَائِعِهِ، صَعْبٌ شَدِيدٌ) كَمَا يَرَاهُ الْقَاضِلُ جَالِينُوسُ، فَجَاءَتْ الْمَشْكَلَةُ فِي وَضْعِ الْمُصْطَلَحِ مِنْ صُعُوبَةِ الْإِتِفَاقِ عَلَى تَحْدِيدِ نَوْعِيَّةِ الْعِلْمِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ عِلْمُ النَّبَاتِ، هَلْ هُوَ مِنَ الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ (الْفَلْسَفِيِّ): كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِخْوَانُ

(٨) الديميري، حياة الحيوان، 2/256.

(٩) انظر، ابن الحشاء، مفيد العلوم، 97.

(١٠) نفسه 37.

الصِّفَا فِي الرَّسَائِلِ وَابْنُ سِينَا فِي الشِّفَاءِ، أَوْ هُوَ عِلْمٌ حِكْمِيٌّ لَصِيقٌ بِالطَّبِّ وَالْفِلَاحَةِ وَالصِّيْدَلَةِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ خَلْدُونَ فِي الْمُقَدِّمَةِ، وَطَاشٌ كُبْرِيٌّ زَادَهُ فِي الْمِفْتَاحِ حَيْثُ جَعَلَ الْعُلُومَ أَطْرَافًا تَنْقَسِمُ بِدَوْرِهَا إِلَى دَوْحَاتٍ، وَكُلُّ دَوْحَةٍ إِلَى شُعْبَةٍ، وَكُلُّ شُعْبَةٍ إِلَى عُلُومٍ، وَكَانَ النَّبَاتُ فِي الشُّعْبَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْعِلْمِ الطَّبِيِّعِيِّ. أَوْ أَنَّهُ يَنْدَرِجُ بَيْنَ الْعُلُومِ اللَّغَوِيَّةِ وَعِلْمِ الدَّلَالَاتِ اللَّغَوِيَّةِ كَمَا فِي الْمُصَنَّفَاتِ الَّتِي حَمَلَتْ عَنَاوِينَ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالنَّخْلِ وَالكَرْمِ وَالذَّلَائِلِ وَغَيْرِهَا.

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ وَضْعَ الْمُصْطَلَحِ قَدْ لَحِقَ بِالنَّبَاتِ مِنْ عِدَّةٍ وَجُوهٍ:

- مِنْ حَيْثُ الشَّبَهَ بِالْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ. فَهَذَاكَ النَّبَاتُ الْمُنتَصَبُ مِثْلَ الْإِنْسَانِ، وَنَظِيرُهُ النَّخْلُ، وَالنَّبَاتُ الْمَكْبُوبُ كَالْبِهِيمَةِ، وَنَظِيرُهُ الشَّجَرُ، وَالنَّبَاتُ الْمُنْسَابُ أَوْ الزَاجِفُ كَالْحَيَاتِ، وَنَظِيرُهُ الْمُسَطَّحُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِثْلَ الْبِقَطِينِ، وَمَا بَيْنَ الْمَكْبُوبِ أَوْ الْمُنْسَابِ كَالْحَلْزُونِ وَالْعِظَاءَةِ وَنَظِيرُهُ الْبُقُولُ وَالْحُبُوبُ وَالرِّيَاحِينَ^(١١).

- وَقَدْ يَلْحَقُهُ الْمُصْطَلَحُ مِنْ خَاصِيَّةِ التَّكْوِينِ؛ فَمُصْطَلَحُ الْأَمْنَانِ أُطْلِقَ عَلَى النَّبَاتَاتِ الَّتِي يَسْفُطُ عَلَيْهَا النَّدى أَوْ الطَّلُّ، وَيَنْعَقِدُ عَلَيْهَا فِي جَوْهَرِهَا وَأَعْيَانِهَا، وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَهْوِيَّةِ وَالْأَمْكِنَةِ وَالتُّرَابِ مِثْلَ الْفَرْمَزِ وَاللَّادِنِ وَالْقُنْبِيلِ وَالْوَرْسِ وَسُكَّرِ الْعُشْرِ وَغَيْرِهَا، وَمِثْلَ مُصْطَلَحِ الصُّمُوعِ، وَيُفْهَمُ مِنْهُ تِلْكَ النَّبَاتَاتِ الَّتِي تُخْرَجُ فَضْلَ الرُّطُوبَاتِ مِنَ الْغِذَاءِ الْمُمَدِّ لِلشَّجَرَةِ، مِثْلَ الْكَافُورِ بِأَنْوَاعِهِ وَأَصْنَافِهِ وَالْكَهْرَبَا وَالْعَلْكَ وَالْكَنْدُرِ وَالْفَرْنَبُورِ وَالصَّبْرِ وَالْحِلْتِيَّتِ وَالْأَنْزُرُوتِ وَغَيْرِهَا.

وَالنَّبَاتَاتِ ذَوَاتِ الرُّطُوبَاتِ السَّائِلَةِ مِثْلَ اللَّبَنِ وَالتِّي يُسَمِّيَهَا الْأَطْبَاءُ الْيُثُوعَاتِ. فَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهَا مُصْطَلَحُ ذَوَاتِ الْأَلْبَانِ.

- وَقَدْ يَلْحَقُ الْمُصْطَلَحُ بِسَبَبِ مَا بَيَّنَّ أَنْوَاعَ النَّبَاتَاتِ مِنْ اخْتِلَافٍ فِي شَكْلِ
أَصْلَاعِهَا كَأَنْ تَكُونَ مُسْتَطِيلَةً أَوْ مَخْرُوطَةً الرَّأْسِ أَوْ مُدَوَّرَةً الْأَسْفَلَ أَوْ
مُسْتَدِيرَةً، غَلْظَةً خَشِنَةً وَدَقِيقَةً مَلْسَاءَ طَيِّبَةً الرَّائِحَةَ أَوْ نَتْنَةً الرَّائِحَةَ وَحُلُوتَهُ الطَّعْمِ
أَوْ مَرَّةَ الْمَذَاقِ^(١٢).

وَعَلَى كُلِّ جِالٍ، فَإِنَّ هَذَا الْجُهْدَ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَيْسَ بِاللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةِ،
وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ دَفَعَتْهُمْ إِلَى قَبُولِ أَلْفَاظٍ أَعْجَمِيَّةٍ مِنْ لُغَاتٍ أُخْرَى، بَعْضُهَا أُجْرِيَتْ
عَلَيْهِ قَوَاعِدَ الْأَشْتِقَاقِ وَأَحْكَامُهُ فَعَرَّبَتْ، مِثْلَ مُصْطَلَحِ النَّزْيَاقِ (الدَّرِيَّاقِ)، فَإِنَّهُ مُشْتَقٌّ
مِنْ كَلِمَةٍ (تِيرِيون) الْيُونَانِيَّةِ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا يَنْهَشُ مِنَ الْحَيَوَانَ كَالْأَقَاعِي وَنَحْوِهَا^(١٣).
وَالْبُحْرَانِ، وَمَعْنَاهُ بِاللُّسَانِ الْيُونَانِيِّ، يَوْمَ الْمُنَاجَرَةِ بَيْنَ الْمُتَعَالِيَيْنِ، وَيُرَادُ بِهِ فِي
الطَّبِّ، الْيَوْمُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْمُنَاجَرَةُ بَيْنَ الْمَرَضِ وَطَبِيعَةِ الْمَرَضِ، وَالْيَوْمُ الْبَاحُورِي
هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَفْعُ فِيهِ الْمُنَاجَرَةُ^(١٤).

وَأَرِسْطُوْلُوخِيَا، هُوَ الزَّرَاوَنْدُ الطَّوِيلُ الْيُونَانِيَّةِ، وَاشْتَقَّ هَذَا الْاسْمُ مِنْ لَفْظِ
أَرِسْطُوْطَالِيْسٍ، وَهُوَ الْفَاضِلُ، وَلُوخِيَا، وَهِيَ الْمَرْأَةُ النَّقْسَاءُ، فَالْمُرَادُ الْفَاضِلُ بِالْمَنْفَعَةِ
لِلنَّفْسَاءِ^(١٥)، وَجَنْتُورِيَّةٌ، اسْمٌ بِعَجْمِيَّةِ الْأَنْدَلُسِ، لِلْفَنْطُورِيُونِ الدَّقِيقِ، وَقِيلَ إِنَّهَا سُمِّيَتْ
بِهَذَا الْاسْمِ مَنْسُوبَةً إِلَى جَنْتُورَسِ الْحَكِيمِ، لِأَنَّهُ يُقَالُ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَهَا بِيَلَادِ
الْأَنْدَلُسِ وَأَظْهَرَ أَمْرَهَا^(١٦)، وَبَعْضُ الْمُصْطَلَحَاتِ تُرِكَتْ عَلَى حَالِهَا لِتَفَرُّدِ اللُّغَةِ بِهَا،
مِثْلَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْفَارْسِيَّةِ الْآتِيَةِ، كُوزٍ وَابْرِيقٍ وَطُشْتٍ وَخِوَانٍ وَطَبِقٍ وَسُكَّرَجَةٌ وَهِيَ
الْآتِيَةُ الَّتِي تُوضَعُ فِيهَا أَنْوَاعُ التَّوَابِلِ وَالْأَبَارِيْزِ وَالْأَفَاوِيَةِ وَالْمَلْحِ وَالْأَصْبَاغِ، وَهِيَ

(١٢) انظر: إسهامات العرب في علم النبات، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب،
117-116.

(١٣) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، 103.

(١٤) لسان الدين بن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة بالأصول، مجلة أكاديمية المملكة
المغربية، العددان، 1، 2 فبراير 1985م، 125.

(١٥) ابن البيطار، لمفردات الأدوية والأغذية، 22/1.

(١٦) نفسه 173/1.

فَارِيسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ، وَمَعْنَاهَا مُقَرَّبُ الْخَلِّ، فَيَكُونُ وَضْعُهَا لِلْخَلِّ، ثُمَّ اتَّسَعَتْ لِكُلِّ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ^(١٧)، وَالسَّرْبَاقُ بِمَعْنَى السَّوْطِ، وَقَدْ نُقِلَتْ مِنَ الْإِسْبَانِيَّةِ^(١٨).

وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ فِي الْبَابِ النَّاسِعِ مِنْ كِتَابِهِ طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ إِلَى النَّقْلَةِ^(١٩) الَّذِينَ نَقَلُوا كُنْتَبَ الطَّبِّ وَغَيْرِهِ مِنَ اللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَقَدْ تَرَاوَحَ تَقْيِيمُهُ لِأَعْمَالِهِمْ بَيْنَ نَاقِلٍ فِي غَايَةِ الْجُودِ، وَنَاقِلٍ مُجَوِّدٍ، وَنَقْلُهُ مُرْضٍ، أَوْ مُتَوَسِّطٍ، أَوْ قَرِيبُ الْحَالِ، أَوْ صَحِيحُ النَّقْلِ، أَوْ لَا يُعْتَدُّ بِنَقْلِهِ، أَوْ لَيْسَ لَهُ شُهْرَةٌ بِجُودَةِ النَّقْلِ، أَوْ نَاقِلٍ جَيِّدٍ، أَوْ عَالِمٍ بِاللُّغَاتِ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ تِلْكَ الْجُهُودِ، فَإِنَّ الْمَشْكَلَةَ فِي وَضْعِ الْمَصْطَلَحِ الْعَرَبِيِّ، فِي التَّرَاثِ الْعِلْمِيِّ قَدْ وَقَعَتْ مِنْ عِدَّةٍ وَجُوهٍ:

- مِنْ قِبَلِ الْمُتَرْجِمِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ عَدَمِ إِتْقَانِهِ لِلُّغَةِ الَّتِي يُتَرْجَمُ مِنْهَا، إِذْ لَا بُدَّ لِلتَّرْجُمَانِ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَيِّنًا فِي نَفْسِ التَّرْجَمَةِ فِي وَزْنِ عِلْمِهِ فِي نَفْسِ الْمَعْرِفَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللُّغَةِ الْمُنْقُولِ إِلَيْهَا، حَتَّى يَكُونَ فِيهِمَا سَوَاءً وَغَايَةً، فُكْلَمَا كَانَ الْبَابُ مِنَ الْعِلْمِ أَعْسَرَ وَأَضْيَقَ وَالْعُلَمَاءُ بِهِ أَقْلَ، كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَرْجِمِ وَأَجْدَرَ أَنْ يُخْطِئَ فِيهِ، فَتَكُونُ الْعِبَارَاتُ عَفْطِيَّةً غَلَقَةً وَالتَّرْجَمَاتُ رَكِيكَةً، فَقَدْ كَانَ فِيئُونُ التَّرْجُمَانِ، لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ أَصْلًا، فَكَانَتْ تَرْجَمَاتُهُ كَثِيرَةً اللَّحْنِ، وَيَحْيَى بِنُ الْبَطْرِيْقِ، لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا وَلَا الْيُونَانِيَّةَ، بَلْ كَانَ لَطِينِيًّا يَعْرِفُ لُغَةَ الرُّومِ وَكِتَابَتَهَا^(٢٠).

يُقَرَّرُ الْجَاحِظُ، أَنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِالتَّرْجَمَةِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ فِي الْعِلْمِ بِمَعَانِيهَا وَاسْتِعْمَالِ تَصَارِيْفِ أَلْفَاظِهَا، وَتَأْوِيلَاتِ مَخَارِجِهَا مِثْلَ مُؤَلَّفِ الْكِتَابِ وَوَاضِعِهِ^(٢١)،

(١٧) الجواليقي، المعرب، 20.

(١٨) ابن تغري بردى، المنهل الصافي، والمستوفي بعد الوافي، ترجمة 2071.

(١٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 171/2.

(٢٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء 180، 282.

(٢١) الجاحظ الحيوان، 76/1.

فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ إِذَا مَا تَدَاوَلَتْ الْكِتَابَ الْمُتَرْجَمَ، الْأَيْدِي الْجَانِيَّةُ وَالْأَعْرَاضُ
الْمُفْسِدَةُ، فَيُصِيرَ غَلْطاً صَرَفاً أَوْ كَذِباً مُصَمِّتاً، فَمَا ظَنُّكُمْ بِكِتَابٍ يَتَعَاقَبُهُ الْمُتَرْجِمُونَ
بِالْإِفْسَادِ، وَتَتَعَاوَرُهُ الْخُطَّاطُ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ بِمِثْلِهِ^(٢٢).

وَكَانَ اصْطِفَانُ بْنُ بَاسِيَلٍ الْمُتَرْجِمُ لِكِتَابِ الْحَشَائِشِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ، إِذَا عَلِمَ
مَا يُقَابِلُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْأَسْمَاءَ الْيُونَانِيَّةَ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ تَرَكَ اللَّفْظَ عَلَى حَالِهِ اتِّكَالاً
مِنْهُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيُفَسِّرُهُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ^(٢٣).

وَيَعْتَبِرُ الْبَيْرُونِيُّ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مِنْ خِيَانَاتِ التَّرْجِمَةِ، وَهُوَ تَرْكُ بَعْضِ مَا يُوجَدُ
فِي أَرْضِنَا وَفِي لُغَةِ الْعَرَبِ عَلَى حَالَتِهِ بِالْيُونَانِيَّةِ، حَتَّى يَحْتَاجَ بَعْدَ التَّفْسِيرِ إِلَى
تَفْسِيرٍ، كَالْكَرْفَسِ الْجَبَلِيِّ وَالْجَزْرِ النَّبْرِيِّ وَلِحِيَةِ النَّبْسِ. وَلِذَا، فَإِنَّ الْبَيْرُونِيَّ يَرَى
ضُرُورَةَ إِحَاطَةِ الْمُتَرْجِمِ عِنْدَ تَرْجِمَتِهِ لِأَسْمَاءِ الْأَدْوِيَةِ مَثَلًا، بِاسْمِ الدَّوَاءِ الْوَاحِدِ وَبَعْدَهُ
لُغَاتٍ، وَيُوصِي الْبَيْرُونِيُّ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَصَدَّقُونَ لِلتَّرْجِمَةِ الطَّبِيَّةِ أَنْ يَعْتَمِدُوا كِتَابَ
(يَشَاقِ سَمَاهِي) أَيْ مُعْجَمَ تَفْسِيرِ الْأَسْمَاءِ، وَكِتَابَ (جَهَار تَام) وَمُطَالَعَةَ كُتُبِ
الْكَسِيْفُونَاتِ، الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى تَفْسِيرِ غَرَائِبِ اللُّغَاتِ، وَعَلَى تَوْضِيحِ الشُّكْلِ مِنْهَا،
وَكَأَنَّهَا الْمَعَاجِمُ، وَقَدْ رَوَى الْبَيْرُونِيُّ فِي هَذَا الصَّدَدِ حِكَايَةَ الْأَمِيرِ الْخَوَارِزْمِيِّ الَّذِي
اعْتَلَّ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ مِنْ نَيْسَابُورِ دَوَاءٍ لِعَلَّتِهِ، وَعُرِضَتْ عَلَى الصِّيَادِلَةِ فَلَمْ يَهْتَدِ لِعُقَارِ
وَاحِدٍ فِيهَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهُمْ، ذَكَرَ أَنَّهُ عِنْدَهُ، فَاسْتُرِيَ مِنْهُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ. وَأَخْرَجَ لَهُمْ
أَصْلَ السُّوسِ فَاسْتَنْكَرُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَعْنُكُمْ إِلَّا مَا حَمَلْتُمُوهُ مِنَ الْإِسْمِ دُونَ
الْجِسْمِ^(٢٤). وَأَكَّدَ الْبَيْرُونِيُّ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ لَكْسِيْفُونَ لِرِزِجِ بَطْلَيْمُوسَ، مَكْتُوبٌ مَا فِيهِ
بِالْخَطِّ السَّرْيَانِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِذَا مَا اسْتَعْلَقَ عَلَيْهِ فَهْمٌ مُصْطَلَحٌ مَا^(٢٥).

(٢٢) نفسه 79.

(٢٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 281.

(٢٤) البيروني، الصيدنة في الطب، 16، صلاح الدين الصفدي، الغيث المنسجم 146/1.

(٢٥) البيروني، الصيدنة في الطب، المقدمة، 16.

وَقَدْ تَفَعُّ الْمُشْكِلَةُ بِسَبَبِ رَدَاءَةِ أَصْلِ النُّسَخَةِ الْمُتَرَجِّمِ عَنْهَا، سِيَّمَا إِذَا أُضْرِبَ
الْمُتَرَجِّمُ عَنْ إِعَادَةِ تَصْوِيبِهَا، فَقَدْ سَبَقَ لِحَنِينٍ أَنْ قَامَ بِتَرْجَمَةِ كِتَابِ (الْفِرْقِ) لِمَوْلَاهِ
جَالِينُوسَ إِلَى السَّرْيَانِيَّةِ لِصَالِحِ طَبِيبٍ مِنْ جُنْدِ يَشَابُورَ، اسْتَخْدَمَ فِيهَا مَخْطُوطاً
يُونَانِيّاً، اشْتَمَلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْطَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ وَلَمَّا يَتَجَاوَزُ بَضْعاً وَعِشْرِينَ
سَنَةً، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ، سَأَلَهُ تَلْمِيزُهُ حُبَيْشُ أَنْ يُصَحِّحَ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ
حَصَلَ عَلَى عِدَدٍ مِنَ الْمَخْطُوطَاتِ الْيُونَانِيَّةِ لِنَفْسِ الْكِتَابِ، فَقَابَلَ هَذِهِ الْمَخْطُوطَةَ،
وَوَجَّهَ بِنَصِّ صَحِيحٍ، وَعِنْدَيْدِ قَابِلِ الْمَخْطُوطِ السَّرْيَانِيِّ الَّذِي كَانَ ابْنُ شَاهِدِي
الْكَرْخِيُّ قَدْ تَرْجَمَهُ تَرْجَمَةً رَكِيكَةً بِهَذَا النَّصِّ الصَّحِيحِ وَأَصْلَحَهُ^(٢٦). وَمِثْلُ ذَلِكَ فَعَلَ
بِكِتَابِ (النَّفْسِ) لِأَرْسُطُوطَالِيَسَ الَّذِي كَانَ قَدْ تَرْجَمَهُ مِنْ نُسخَةٍ رَدِيئَةٍ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ
ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَجَدَ نُسخَةً فِي نِهَائِيَةِ الْجُودَةِ، فَقَابَلَ بِهَا النُّقْلَ الْأَوَّلَ.

وَكَانَ أَبُو الرَّيْحَانِ الْبِيرُونِيُّ يَقُومُ صِرَاحَةً بِمُقَارَنَةِ تَرْجَمَاتِ مُؤَلِّفَاتِ هَؤُلَاءِ
الْعُلَمَاءِ مَعَ أَصُولِهَا، وَيَكْشِفُ الْمَزِيدَ مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالتَّحْرِيفَاتِ فِيهَا، وَالشَّيْءُ عَيْنُهُ
قَامَ بِهِ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ، فَقَدْ وَجَدَ بَعْضَ الْكُتُبِ السَّنَةِ عَشْرَ لِحَالِيْنُوسَ، وَقَدْ نَقَلَهَا
مِنَ الرُّومِيَّةِ إِلَى السَّرْيَانِيَّةِ سِرْجَسُ الرَّاسِ عَيْنِي الْمُنْتَبِّبُ، وَنَقَلَهَا مِنَ السَّرْيَانِيَّةِ إِلَى
العَرَبِيَّةِ، مُوسَى بْنُ خَالِدِ النَّرْجُمَانِ، فَلَمَّا طَاقَهَا ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ، وَتَأَمَّلَ أَلْفَظَهَا،
تَبَيَّنَ لَهُ بَيْنَ نَقْلِهَا وَبَيْنَ السَّنَةِ عَشْرَ الَّتِي هِيَ نُقْلُ حَنِينٍ تَبَايُنٌ كَثِيرٌ وَتَفَاوُتٌ، فُيَعْلَقُ
وَيَقُولُ: وَأَبْنُ الْأَلْكَعِ مِنَ الْبَلِيغِ وَالتَّرَى مِنَ النَّرْيَا^(٢٧).

وَقَدْ صَحَّحَ الْعُلَمَاءُ الْعَرَبُ هَذَا الْخَطَأَ بِمُعَاوَدَةِ النَّظَرِ فِي الْأَصُولِ الْمُتَرَجِّمَةِ،
كَمَا ذَكَرْنَا، سَابِقاً، وَتَبَقَّى جُهُودُ الْعُلَمَاءِ فِي تَدْقِيقِ تَرْجَمَاتِ كِتَابِ (الحَشَائِشِ
وَالْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ)، لِديسْفُورِيدِسَ خَيْرٍ مِثَالٍ عَلَى مَدَى الْجَدِيدَةِ الَّتِي اضْطَلَعَ بِهَا
الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

(٢٦) حنين بن اسحاق، العشر مقالات في العين، 29.
(٢٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 262 (ط بيروت).

كَانَ ديسفوريدس العَيْنَ زُرْبِي قَدْ دَامَ أُرْبَعِينَ سَنَةً عَلَى مِلَاحِظَةِ النَّبَاتَاتِ فِي
أَحْوَالِهَا الْمُخْتَلِفَةِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَنَافِعِهَا وَخَوَاصِّ بُرُورِهَا وَأَزْهَارِهَا وَقُشُورِهَا وَلُبَابِهَا،
لَا حِظَّهَا غَضَّةً طَرِيَّةً وَيَابِسَةً جَافَةً، ثُمَّ أَخْبَرَ تَلَامِيذَهُ بِمَا حَصَلَ عِنْدَهُ مِنَ التَّجَارِبِ،
فَكَانَ لِكِتَابِهِ أَثَرُهُ فِي تَارِيخِ الطَّبِّ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَالْأَنْطَاوُولِ، وَبِلَادِ مَا
وَرَاءَ النَّهْرِ، حَيْثُ اتَّخَذَهُ الْأَطِبَاءُ وَالصِّيَادِلَةُ مُعَلِّمًا وَشَرَحُوهُ وَفَسَّرُوهُ وَاسْتَدْرَكُوا عَلَيْهِ
وَصَحَّحُوهُ، فَقَدْ نَظَرَ فِيهِ حَنِينُ بَنِ إِسْحَقَ، وَأَصْلَحَ تَرْجَمَةَ اصْطَفَانَ بَنِ بَاسِيَلِ الَّتِي
وَضَعَهَا زَمَنَ الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيِّ، وَصَحَّحَهَا وَأَجَارَ التَّرْجَمَةَ. وَحَمَلَ الْكِتَابُ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ وَهُوَ عَلَى تَرْجَمَةِ اصْطَفَانَ، فَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ إِلَى أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ
300هـ / 912م - 350هـ / 961م، حَيْثُ كَاتَبَهُ أُرْمَانِيُوسُ الثَّانِي 348هـ / 959م
- 32هـ / 963م مَلِكُ الْفُسْطَاطِيْنِيَّةِ، وَهَادَاهُ بِهَدَايَا لَهَا قَدْرٌ عَظِيمٌ. فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ
هَدَايَاهُ كِتَابُ ديسفوريدس، مُصَوِّرُ الْحَشَائِشِ، بِالتَّصْوِيرِ الرَّومِيِّ، مَكْتُوبًا بِالْيُونَانِيَّةِ،
وَكَتَبَ أُرْمَانِيُوسُ: "إِنَّ كِتَابَ ديسفوريدس لَا تُجْتَنَى فَائِدَتُهُ إِلَّا بِرَجُلٍ يُحْسِنُ الْعِبَارَةَ
بِاللُّسَانِ الْيُونَانِيِّ، وَيَعْرِفُ أَشْخَاصَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةِ، فَإِنْ كَانَ فِي بَلَدِكَ مَنْ يُحْسِنُ
ذَلِكَ، فَقَدْ فُرِثَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِفَائِدَةِ الْكِتَابِ". وَهَذَا سَأَلَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ أُرْمَانِيُوسَ أَنْ
يَبْعَثَ بِرَجُلٍ يَتَكَلَّمُ الْإِغْرِيْقِي وَاللَّاطِينِي، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرَّاهِبَ نَقُولًا، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ
بِفِرْطَبَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَطِبَاءِ لَهُمْ بَحْثٌ وَتَفْنِيْشٌ وَجِرْصٌ عَلَى اسْتِخْرَاجِ مَا جُهَلَ مِنْ
أَسْمَاءِ عَقَاقِيرِ كِتَابِ ديسفوريدس، مِنْهُمْ حَسْدَايُ بْنُ شَبْرُوطَ، وَمُحَمَّدُ الْمَعْرُوفُ
بِالشَّجَارِ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّقَلِي، فَعَمَلَ هُوَ لَمَّا مَعَ نَقُولًا عَلَى حَلِّ مُغْلَقِ قَضَايَا الْكِتَابِ
حَتَّى ظَهَرَ الْكِتَابُ بِصُورَتِهِ الْحَالِيَّةِ.

وَمِنْ الْجَدِيدِ ذَكَرَهُ أَنَّهُ عُنِيَ عَلَى تَرْجَمَةِ ثَانِيَةِ الْكِتَابِ فِي مَكْتَبَةِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى
الرِّضَا، بِبَيْرَانَ، تَرْجَمَهَا مَهْرَانَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ مَهْرَانَ، كَلَّفَهُ بِهَا السُّلْطَانُ الْأَبِي بَنُ
تَمْرِتَاشَ بْنَ أَيْلِ غَازِي بْنِ أَرْثُوقَ 547هـ / 1152م - 575هـ / 1179م. أَحَدُ مُلُوكِ
دِيَارِ بَكْرٍ وَمَارْدِينِ وَمِيَاْفَارَقِيْنَ. فَيَكُونُ الْكِتَابُ قَدْ نُقِلَ مِنَ السَّرْيَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ،
وَاعْتَمَدَ عَلَى التَّرْجَمَةِ الَّتِي أَجَارَهَا حَنِينُ نَقْلًا عَنِ الْيُونَانِيَّةِ، وَالَّتِي وَضَعَهَا لِرَبِيسِ

الأطباء بختيشوع بن جبرائيل، وترجم من السرياني إلى العربي بفعل أبي سالم الماطي، التي وضعت للملك فخر الدين الأرتقي، وأخيراً من السريانية إلى العربية، ترجمته مهران بن منصور بن مهران، وكانت للملك نجم الدين ألي (٢٨).

وعلى الجانب الآخر، فإن المشكلة في المصطلح قد تقع بسبب طبيعة اللغة المنقول منها أو إليها، فإن تشابه الحروف العربية له محاذيره في صفة كثير من الحروف، حيث تكون عرضة للتخريف والتصحيف، فالضرورة حينئذ تستلزم التمييز بينها، فدون هذه العلامات تفقد الكتابة معناها، ولولا هذا الخلل لكانت الحروف العربية تفي بذكر المصطلحات اليونانية في الترجمات، فإن اللغات متى نقلت تغيرت عبارات حروفها الموزونة في التقديم والتأخير، وربما كانت أكثر، فيدخل فيها ما لا يحتاج إليه لأجل الإيضاح، أو أقل فتقصر عن استيفاء الغرض منه (٢٩)، وكانت المشكلة في الفارسية تكمن في تلك الحروف التي لا يوجد مقابل لها في العربية. وكذا مشكلة بناء الكلمة الفارسية الذي لا يوافق الأبنية العربية فأعطوا الكلمة الفارسية بناءً عربياً دون أن يُعِدوها عن أصلها. وقد حلوا هذه المشكلة عن طريق إبدال بعض الحروف:

- إبدال الهاء جيماً مثل بابوته فأصبحت بابوتجاً.

- الباء الفارسية فاء، برنجاسب - برنجاشف.

- الزاي سيناً، بزياز - بسباس.

- الكاف جيماً، ترنجان - ترنجان.

- الهاء قافاً، زنبه - زنبق.

(٢٨) مقدمة كتاب الحشائش والأدوية المفردة لديفوريس، بترجمة مهران بن منصور بن مهران، نشرها

وقدم لها، صلاح الدين المنجد، المطبعة الهاشمية، بدمشق 1965، 1، 2.

(٢٩) نفسه، ص 20.

- الجيمُ صاداً، دارجيني - دارصيني.

- الشينُ سينا، دشت - دست.

- الخاء جيماً، خريز - جريز أو إلى قافٍ قريز.

- لا يعرّبون ما فيها ثونٌ بعدها راءٌ كمصطلح نوج.

ومثاله من اليونانية الخطأ الذي وقع في ترجمة كلمة "خامالاء" بسبب تشابه الحروف حيث تعني باليونانية، زيتون الأرض، وهو المازريون، ويرى ابن البيطار، أن كثيراً من المترجمين والمفسرين قد غلطوا في قولهم: إن المازريون هو أسد الأرض، لأن هذا التفسير يخصّ الخامالون، وسبب غلطهم في ذلك الاشتراك في الأسماء اليونانية في بعض صور الحروف، فلم يفرقوا بين خامالاء وخامالون، ويضيف ابن البيطار أنه تكلم على هذا الغلط وأشباهه، بما فيه الكفاية في كتابه الموسوم بالإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام^(٣٠).

وقد درس أبو بكر الرازي هذه المشكلة، واجتهد في حلها، فقد كان الرازي يؤمن بالنقد العلمي، ويرشد إلى موضوعاته العلمية التي تحتاج إلى استقصاء، مؤملاً أن يتكاتف العلماء لبناء صرح العلم، ولذا فقد جمع مشاهدات العلماء الذين سبقوه، وأجال الفكر في ذلك كما يقول "فلم يجد وجهاً أبلغ من أن يعمل لذلك جداول فيها سعة، ويجمع ما فيها من اختلافات الاسم الواحد، مما وقع في هذه الغاية، ويكون فيها مع ذلك سعة لما يقع بعد ذلك. ويفرر الرازي، بأنه على هذه الجهة يكاد أن لا يفوت الناظر في هذا الكتاب، استخراج اسم من أجل اختلاف كتابته، وينبغي أن يستعان مع هذا على فعل الدواء وطبعه، فإن ذلك نعم العون على تحقيق ما يوجد من تفسير"^(٣١).

(٣٠) ابن البيطار الجامع، 46/2.

(٣١) الرازي، الحاوي في الطب، 63/22.

وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّازِيَّ لَاحَظَ مِنْ خِلَالِ إِطْلَاعِهِ عَلَى الْكُتُبِ الْمُتَرَجِّمَةِ أَنَّ
اسْمَ الدَّوَاءِ وَالذَّاءِ وَالتَّدْبِيرِ لَا يَكُونُ مَذْكَورًا بِاللُّغَةِ الَّتِي جَرَى فِيهَا تَفْسِيرُ ذَلِكَ، وَجَاءَ
هَذَا مِنْ نُفْصَانِ حُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ لَيْسَ فِيهَا حُرُوفٌ تَقِي بِمَا فِي الْفَارَسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ
وَالْيُونَانِيَّةِ وَالسَّرِّيَانِيَّةِ مَثَلًا، كَمَا أَنَّ الْأَسْمَاءَ كُتِبَتْ فِي غَايَةِ التَّوَانِي وَالتَّسَاهُلِ، فَجَاءَ
الاسْمُ عَلَى وُجُوهِ كَثِيرَةٍ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، عَمِلَ جَدَاوِلَ فِيهَا سَعَةً، يَجْمَعُ فِيهَا
اِخْتِلَافَاتِ الْأَسْمِ الْوَاحِدِ، وَفِيهَا سَعَةٌ لِمَا يَقَعُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيُسْتَعَانُ بِفِعْلِهِ وَطَبَعِهِ زِيَادَةً
فِي التَّنْبِيْهِ. وَعِنْدَهَا يُطْلَبُ الْأَسْمُ فِي سَائِرِ الْأَبْوَابِ الْمُشَابِهَةِ، فَاسْمٌ أَوْلُهُ "ب" نَطْلُبُهُ
فِي، ب، ت، ث، ق، فَإِنْ لَمْ نَجِدْهُ فِي بَابِ "ف".

وَهَذَا لَا يَكُونُ مِنْ بَابِ التَّصْحِيفِ، بَلْ مِنْ بَابِ اللُّغَةِ نَفْسِهَا، فَالْمِيعَةُ تُكْتَبُ
كَثِيرًا، اسْطَقَطًا بِالْأَلِفِ الْمَهْمُوزَةِ وَرُبَّمَا وَجِدَتْ سَطَقَطًا دُونَ (الْأَلِفِ) الْمَهْمُوزَةِ، وَقَدْ
يُبَدَّلُ حَرْفٌ مَكَانَ حَرْفٍ مِثْلَ جَالِيئُوسَ، تُكْتَبُ غَالِيئُوسَ، كَالِيئُوسَ، خَالِيئُوسَ،
وَالتَّاءُ وَالْأَلِفُ يُبَدَّلَانِ، مِثْلَ نَمْرَدًا نَمْرَدِينَ، وَالْوَاوُ قَدْ تَسْقُطُ، وَالْأَلِفُ وَالْهَاءُ وَالسِّينُ
وَالصَّادُ، وَمِنْ هُنَا يُجْعَلُ، سَطْرٌ يُونَانِيٌّ، وَسَطْرٌ سِرِّيَانِيٌّ وَمِثْلُهُ عَرَبِيٌّ، وَفَارِسِيٌّ
وَهِنْدِيٌّ، وَمَجْهُولٌ وَمَعْلُومٌ، ثُمَّ يَفُومُ بِمُقَابَلَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُتْرَادِفَةِ، حَتَّى يَتَوَصَّلَ إِلَى
الاسْمِ الصَّحِيحِ وَيُقِنَّهُ. وَيَرَى الرَّازِيُّ أَنَّ كِتَابَهُ الْحَاوِي كَانَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَقْرَبَ إِلَى
الْكِتَابِ الصَّنَاعِيَّةِ الْقَانُونِيَّةِ^(٣٢).

وَبِالْإِجْمَالِ، فَإِنَّ مِنْهُجَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ فِي وَضْعِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْأَعْجَمِيَّةِ، سَارَ
فِي أَسَالِيْبِ ثَلَاثَةٍ:

قِسْمٌ غَيْرَتُهُ الْعَرَبُ وَالْحَقْنَةُ بِأَبْنِيَّةِ كَلَامِهَا، وَقِسْمٌ غَيْرَتُهُ وَلَمْ تُلْحَقْهُ بِأَبْنِيَّةِ
كَلَامِهَا، وَثَالِثٌ تَرَكَوهُ غَيْرٌ مُغَيَّرٌ؛ فَالتَّعْرِيْبُ يَكُونُ بِتَبْدِيلِ حُرُوفٍ وَتَقْلِيْبِ حَرَكَاتٍ
وَتَغْيِيرِهَا وَتَغْيِيرِ سُكُونٍ وَإِسْقَاطَاتٍ.

(٣٢) الرّازي، الحاوي في الطب، 81/22، 83/22 (ط حيدر إباد، 1971م).

وَحَطَا الْعُلَمَاءُ حُطَوَاتٍ إِلَى الْأَمَامِ بِوَضْعِ الْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي تُبَيِّنُ سَبَبَ اخْتِيَارِ مُصْطَلَحٍ عِلْمِيٍّ بِعَيْنِهِ، وَمِنْ ثُمَّ فَسَّرُوا الْمُصْطَلَحَ، فَقَدْ صَنَّفَ حَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ كِتَابَ الْأَسْمَاءِ الطَّبَّيَّةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الْعَرَبُ وَعَلَى أَيِّ الْمَعَانِي اسْتَعْمَلُوهَا. وَالْمَخْطُوطُ مَحْفُوظٌ فِي دَارِ الْكُتُبِ وَالْوَتَائِقِ الْقَوْمِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، تَحْتَ رَقْمِ 563 طَب. كَمَا فَسَّرَ حَنِينُ فِي كِتَابِ آخَرَ الْأَدْوِيَّةِ الْمُفْرَدَةِ لَجَالِيئُوسَ، وَابْنُ جُلْجُلٍ (كَانَ حَيًّا 372هـ/982م) فَسَّرَ الْأَدْوِيَّةَ الْمُفْرَدَةَ مِنْ كِتَابِ دَيْسْفُورِيدِسَ، وَأَفْصَحَ عَنْ مَكْنُونِ الْأَدْوِيَّةِ، وَأَوْضَحَ مُسْتَعْلَقَ مَضْمُونِهَا، وَذَكَرَ مَا يُقَابِلُهَا بِالْبَرْبَرِيَّةِ وَاللَّاطِينِيَّةِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِهِ، وَمِنْهُ نُسخَةٌ فِي مَكْتَبَةِ نُورِ عُثْمَانِيَّةِ بَاسْتَانَبولَ، رَقْمِ 3589، وَنُسخَةٌ أُخْرَى فِي مَكْتَبَةِ مَلِيٍّ مَجْلِسِ سُورَايِ بَايْرَانَ، رَقْمِ 1/1538. وَابْنُ وَافِدِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت 467هـ/1074م)، وَضَعَ تَفْسِيرًا لِلأَدْوِيَّةِ الْمُفْرَدَةِ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ كِتَابَيْ جَالِيئُوسَ وَدَيْسْفُورِيدِسَ. وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَشَاءِ، فَسَّرَ الْأَلْفَاظَ الطَّبَّيَّةَ الْوَاقِعَةَ فِي الْكِتَابِ الْمَنْصُورِيِّ فِي الطَّبِّ، بِخَاصَّةِ، وَيُوبِّهَهَا عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِحَسَبِ اسْتِعْمَالِ أَهْلِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ لَهَا، وَقَدْ فَسَّرَ فِيهِ 1227 لَفْظًا^(٣٣). وَابْنُ الرُّومِيَّةِ الْعَشَّابُ الْإِسْبِيلِيُّ (ت 637هـ/1239م) فَسَّرَ الْأَدْوِيَّةَ الْمُفْرَدَةَ مِنْ كِتَابِ دَيْسْفُورِيدِسَ، وَابْنُ الْبَيْطَارِ الْمَالِقِيُّ (ت 646هـ/1248م) صَنَّفَ فِي تَفْسِيرِ شَرْحِ كِتَابِ دَيْسْفُورِيدِسَ، فَكَانَ كِتَابُهُ عِبَارَةً عَنْ قَامُوسٍ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَالسَّرْيَانِيَّةِ وَالْبَرْبَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا شَرَحَ فِيهِ الْأَدْوِيَّةَ الْمُفْرَدَةَ مِنَ النَّبَاتَاتِ، وَقَلِيلًا مِنَ الْأَدْوِيَّةِ الْمُفْرَدَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ، لَمَّا رَأَى اسْتِعْجَامَ أَسْمَاءِ شَجَارِهِ وَحَشَائِشِهِ عَلَى كَافَّةِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَعَامَّةِ الشَّادِيَّيْنَ، وَتَوَارِي حَقَائِقِهِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الشَّجَارِينَ وَالْمُنْتَبِيبِينَ، وَكَانَ مَجْمُوعُ مَا فَسَّرَهُ "550" مُصْطَلَحًا يُونَانِيًّا، وَمِنْهُ نُسخَةٌ فِي مَكْتَبَةِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، تَحْتَ رَقْمِ 2/36 طَب.

(٣٣) ابن الحشاء، مفيد العلوم. ص 1، 2.

وَشَرَحَ أَبُو عَمْرٍانَ، مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ، أَسْمَاءَ الْعُقَارِ، وَلَمْ يَذْكَرْ فِيهِ إِلَّا مَا تَرَادَفَتْ أَسْمَاؤُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ الْوَاحِدَةِ أَوْ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ اصْطِلَاحِ أَهْلِ الْمَوْضِعِ، وَمِثَالُهُ أُسْطُوخُودُوسُ، الَّذِي يَسْتَعْمَلُهُ الْأَطِبَّاءُ بِالْمَغْرِبِ وَفِي دِيَارِ مِصْرَ، هَذَا النَّبَاتُ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ الْحَلْحَالَ، وَهُوَ وَشَائِعُ الشَّيْخِ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا أَرَشِينَسَهْ وَهُوَ سُنْبُلُ الْأَجَانِيَةِ، وَيُضَيَّفُ: وَسَمِعْتُ مِنَ الْبَاحِثِينَ عَنِ النَّبَاتِ بَعْلَمَ وَاجْتِهَادًا، أَنَّ هَذَا لَيْسَ الْأُسْطُوخُودُوسَ الَّذِي ذَكَرَهُ جَالِينُوسُ، بَلْ شَيْءٌ قُوْتُهُ قُوَّةُ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْأُسْطُوخُودُوسَ أَعْرَضَ مِنْ هَذَا وَأَغْلَظَ وَشَائِعًا، وَهُوَ يَطْلُعُ عَلَى مُقْرَبَةٍ [مِنْ طَلِيْطَلَةٍ^(٣٤)].

وَاعْتَمَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْهُجِيَّةَ التَّجْرِبَةِ وَالْقِيَاسِ لِتَقْوِيمِ الْأَدْوِيَةِ، وَتَأَكِيدُ صِحَّةَ مَا يَنْبُتُ مِنْهَا بِالْبِرَاهِينِ الْمُجَرَّبَةِ. فَقَدْ صَنَّفَ يُوْحَنَّا بْنُ بَحْتِيْشُوعَ كِتَابَ تَقْوِيمِ الْأَدْوِيَةِ فِيْمَا اشْتَهَرَ مِنَ الْأَعْشَابِ وَالْعَقَاقِيرِ وَالْأَعْذِيَةِ، وَهُوَ يَبْحَثُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَعْذِيَةِ وَخَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا وَمَضَارِهَا، وَمَا يَصْلُحُ لِكُلِّ مَرَضٍ مِنْ دَوَاءٍ بِحَسَبِ مَا يُوَافِقُ الْمَرِيضَ، وَيَتَأَلَّفُ الْكِتَابُ مِنْ مُقَدِّمَةٍ، يَشْرَحُ فِيهَا الْمُؤَلَّفُ خَوَاصَّ الْأَدْوِيَةِ وَكَيْفِيَّةَ التَّوَصُّلِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَمْرَجَتِهَا بِالتَّجْرِبَةِ وَالْقِيَاسِ، ثُمَّ يَذْكَرُ مَفْعُولَهَا وَصِفَاتِهَا وَأَصُولَهَا، وَقَدْ عَمَلَ جَدَاوِلَ قَسَمَهَا إِلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ.

السَّطْرُ الْأَوَّلُ، لِتَرْجَمَةِ مَا فِي كُلِّ سَطْرٍ مِنَ الْأَسْطُرِ. وَالْحَمْسُ الْبَاقِيَّةُ، أَدْوِيَةٌ مُرْتَبَةٌ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَقَسَمَ الْجَدَاوِلَ إِلَى سِتَّةِ عَشَرَ قِسْمًا، فِيهَا أَسْمَاءُ الْأَدْوِيَةِ وَمَاهِيَّتُهَا وَأَمْرَجَتُهَا وَمَرَاتِبُهَا وَقَوَاهَا وَمَنَافِعُهَا لِأَعْضَاءِ الْبَدَنِ عَضْوًا عَضْوًا، وَمَنَافِعُهَا الَّتِي تَحْتَصُّ بِعَضْوٍ بَعْضِهِ، وَكَيْفِيَّةُ اسْتِعْمَالِهَا وَمَضَارُهَا وَأَبْدَالُهَا وَمِنْهُ نُسخَةٌ فِي الْخِزَانَةِ الْمَلِكِيَّةِ بِالرِّبَاطِ رَقْمَ 9598. وَأَلَّفَ الطَّبِيبَانِ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُرْلُوسِي (ت 899هـ/ 1493م)^(٣٥)، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُوصُونِي (ت 931هـ/ 1524م) كِتَابَيْنِ حَمَلَا نَفْسَ

(٣٤) موسى بن عبدالله القرطبي، شرح أسماء العقار، 4.

(٣٥) منه مخطوطة في جامعة برنستون، رقم 1126.

العنوان "الدُّرَّةُ الْمُنتَخَبَةُ فِيمَا صَحَّ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْمُجَرَّبَةِ"^(٣٦) وَيَبْحَثَانِ خَوَاصَّ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي اخْتِيرَتْ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ، وَجُرِّبَتْ فَتَبَّتْ نَجَاعَةُ دَوَائِهَا.

وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، فَإِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ اعْتَمَدَ مِنْهَجَ إِعَادَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّفْدِ لِتَصْحِيحِ مَفْهُومِ الْمُصْطَلَحِ، وَذَلِكَ بِالاسْتِقْصَاءِ وَالتَّبْحِثِ، وَبَيَانِ الْفَسَادِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ مِنْ سَبْقُوهُ، فَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ يُؤَلِّفُ كِتَابًا فِي دَفْعِ مَضَارِّ الْأَغْذِيَةِ، يَصِفُ عَمَلَهُ فِيهِ بِأَنَّهُ كَانَ تَامًا، مُسْتَقْصَى. وَهُوَ أْبْلَغُ وَأَشْرَحُ مِمَّا عَمِلَهُ جَالِينُوسُ، لِأَنَّ الْأَخِيرَ سَهَا وَغَلَطَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كِتَابِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَلَمْ يَسْتَقْصِ فِي كَثِيرٍ مِنْهُ "وَيُشِيرُ أَيْضًا إِلَى كِتَابِ يَحْيَى بْنِ مَاسُويَةَ، وَيُعْتَبَرُ أَنَّهُ أَضْرَّ بِكِتَابِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي هَذَا الْعَرَضِ أَكْثَرَ مِمَّا نَفَع"^(٣٧).

وَالْبَالِسِيُّ، الطَّبِيبُ الْمُتَمَيِّزُ زَمَنَ كَافُورِ الْإِحْشِيدِيِّ، أَلَّفَ فِي تَكْمِيلِ الْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ، وَأَمِينُ الدَّوْلَةِ ابْنُ التَّلْمِيزِ (ت 560هـ/1164م)، أَلَّفَ فِي "الْأَقْرَابَاذِينِ الْكَبِيرِ"، أَيْ فَنَ تَرْكِيبِ الدَّوَاءِ"، وَالْمَقَالَةُ الْأَصِيلَةُ فِي الْأَدْوِيَةِ. وَأَبُو الْبَيَّانِ بْنُ الْمُدَوَّرِ (985هـ/1189م) أَلَّفَ فِي الْمَجْرِبَاتِ مِنَ الطَّبِّ.

وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الْمَجَالِ كِتَابُ يَحْيَى بْنِ عَيْسَى بْنِ جَزَلَةَ الْبَغْدَدِيِّ (ت 494هـ/1100م) الْمَوْسُومُ بِالْبَيَّانِ فِيمَا يَسْتَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ، فَهَذَا نَقْدٌ مِنْ خِلَالِهِ، كِتَابَ الْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ، لِابْنِ عَبْدِانَ، الَّذِي يَبْحَثُ فِي مُفْرَدَاتِ الْأَدْوِيَةِ وَتَرْكِيبِهَا، وَأَثَرِ الدَّوَاءِ عَلَى الْجِسْمِ، وَتَحَدَّثَ عَنِ الْعِدَاءِ وَتَفْسِيمَاتِهِ وَأَنْوَاعِهِ، وَيُشِيرُ ابْنُ جَزَلَةَ إِلَى الْأَخْطَاءِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الْأَطِبَّاءُ وَالْعَشَّابُونَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُحِيطُوا بِكُلِّ الْأَدْوِيَةِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا جَمِيعَ مَنَافِعِهَا وَمَضَارِّهَا، وَجَاءَتْ الْإِشَارَاتُ إِلَى الْأَدْوِيَةِ النَّبَاتِيَّةِ مُرْتَبَةً بِحَسَبِ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ، وَكَانَ النَّقْدُ بِسَبَبِ مَا وَجَدَهُ فِيهِ مِنَ التَّنْطُويلِ الْمُضِلِّ

(٣٦) منه نسخة مخطوطة في الخزانة الملكية، بالرباط رقم 314، وأخرى في الخزانة الظاهرية بدمشق.

(٣٧) الرازي، منافع الأغذية ودفن مضارها، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1305هـ ص2.

والتكرار المملِّ والنقصير المُخِلُّ، والاشتباه المزلُّ، وذكر أسماء أدوية مجهولة الهوية، واشتراطه شروطاً في تبيين اسم الدواء لم ينهض بأكثرها، وترك ذكر أسماء عربية وغير عربية مشهورة في أبوابها. والمنهاج يتضمن ذكر جميع الأدوية والأشربة والأغذية، وكلُّ مركبٍ من ذلك وبسيطٍ ومفردٍ وخليطٍ، وقد ترك ما كان يعرف بعجمه الاسم فقط من المفردات، ولم يُوقف منه على منفعة معينة ولا على رسم ورتبه على حروف المعجم، فذكر الشيء وما هيئته وأجوده وغشاه ومرتبته مزاجه ومقدار ما يتناول منه وكيفية استعماله، وإن كان ممَّا له اسمان أو ثلاثة، ذكر كل اسم، وأكد أنه نَمَقَهُ على كتابات حنين، وقد استعان بطريقتي التجربة والقياس^(٣٨).

وقد نقد ابن البيطار، بدوره كتاب النيان فيما يستعمله الإنسان لابن جرلة البغدادي، وجاء نقده من خلال كتاب ابن البيطار المسمى بالإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام، حيث صحح ما وقع في المنهاج من أخطاء، ورتبه على حروف المعجم، وكثيراً ما كان يُورد "أن في كتاب المنهاج تخليطاً فلا يعول على نقله" وأعطى عدة أمثلة على ذلك، من ضمنها ما ورد في المنهاج حول مادة شل، فذكر أن كلام صاحب المنهاج بين فساده، وظاهر انتقاده، وأن فيه الغلط: لأنه يتكلم عن دوائين مختلفين باعتبارهما دواءً واحداً^(٣٩) وتعرض الكتاب لنقد داود الإنطاكي، لأنه طعن على ما سبق من الإلهام والاستدلال، وقوله: إن الأساس في نبت الأدوية هو القياس، وهذا عند الإنطاكي تخليطٌ وسخف^(٤٠).

ولم يقتصر الاستقصاء والبحث والنقد على النظر في الكتب القديمة بل تعداه إلى تحري الحقيقة بجهود اقتضت الاتصال المباشر عن طريق المشاهدات، ودراسة الأقوال الشفهية للتساؤلات. يزوي البيروني أنه سكن في أرضه أحد

(٣٨) سامي خلف حمارنة، تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ط1 القاهرة، 1967، 9-11.

(٣٩) ابن البيطار الجامع، 68/2.

(٤٠) الإنطاكي، تذكرة أولي الألباب، 34.

اليونانيين، اعتاد البيروني أن يأتيه بالقمح والبدر والفاكهة، وما شاكله فيسأله عن أسمائها بلغته هو ثم يدون هذه الأسماء^(٤١) ومثله جهود إبراهيم المعروف بكتاب الجيش الذي صير إليه كتاب أفرابدين الخيل، لما كان معتقلاً بخزانة البؤد، وهو يعنى بمعرفة جياذ الخيل ومعالجات أمراضها، وكان بالخط الأرميني، حصل عليه الأمير لاجين، المعروف بالصرخدي، من خزانة بكنوز (ليو الثاني) ملك الأرمين، لما انكسر في المعركة بظاهر مدينة حمص في الدولة المنصورية، التي وقعت في 19 رجب 682هـ، وطلب إلى إبراهيم المعروف بكتاب الجيش أن ينظر فيه، فجمع عليه جملة من الأسرى الأرمين الذين لهم معرفة بهذا القلم، فحققه ونقله إلى الألفاظ العربية، وتابع معانيها وقومها لتفهم وطابق بعضها بعضاً. ويضيف إبراهيم، كتاب الجيش، بأن أسماء العقاقير والأدوية وبقيت غير مفهومة بالعربي، واصطلاحه، فوفق الله سبحانه وتعالى بإيجاد رجل جرائي من الأرمين الأسرى خبير بصناعته، فعبر عنها بالمعرفة والاصطلاحات العربية، ويؤكد إبراهيم، كاتب الجيش، أن هذا الكتاب لم يتضمن إلا ما امتحنه وجربه وحقق صحته وتيقن حقيقته^(٤٢).

ومن الجدير ذكره، أننا نقرأ كثيراً في المؤلفات التي تبنى بالأدوية والأمراض عبارات مثل: "وقد أكذب هذا الظن المشاهدة والتوقف". أو عبارة "ولقد حدثني والدي، رحمه الله" أو "أخبرني به النقات" أو "شاهدت نباته في" أو "أعرفه بعينه"، فقد أشار الوزير العسائي على سبيل المثال إلى تحققه من شجر أمير باريس، شجر البرباريس، والذي هو نوع من العوسج، فيقول: "ولقد حدثني والدي، رحمه الله، أنه وقف عليه ورأى شجرته بموضع يقال له سليلجو، على مقرية من ضريح

(٤١) البيروني، الصيدنة في الطب، 4.

(٤٢) منه نسخة في مكتبة غوطا، 815, BMS, 2687, Gotha..

الولي الصالح العابد، يحيى بن بكار، رحمه الله، من عمل فاس، ويسمى ثمرة حب البرباريس، ولحاؤه يُصنع به صفايح الرصاص والقزدير^(٤٣).

وعلى صعيد آخر فقد اتجه نفر من العلماء لوضع المعاجم اللغوية التي اهتمت بالمصطلحات العلمية، بهدف تيسير وضع المصطلحات أو تسهيل تعلمها من قبل الطلبة والدارسين، فالحسن بن البهلول (ت أواسط القرن الرابع الهجري) وضع معجماً كبيراً، جمع فيه ما جاء في آثار اليونان والترجمات العربية والسريانية من مصطلحات ألفاظ ومفردات، ودبج معجمه هذا بالسريانية والعربية، ويورد مصادره في معجمه بشكلٍ دقيق، فيرجع كل لفظ أو شرح إلى قائله، فكان أشبه بموسوعة علمية لغوية، تضم المعارف والعلوم التي كانت شائعة في أيامه، حيث توافرت المصطلحات والألفاظ والمعلومات اللغوية والعلمية في معجمه^(٤٤) السرياني - العربي.

والعاقبي الأندلسي (ت القرن 5هـ) جمع في كتابه "الأدوية المفردة" أقوال القدماء والمحدثين من أهل الخبرة من الأطباء في كل دواء من الأدوية المجهولة، واستوفى ذكر الأدوية التي ذكرها جالينوس وديسقوريدس ومن جاء بعدهما، وقد رتبها أبجدياً، فتناول في القسم الأول منه، الكلام في الأدوية والقسم الآخر، شرح الأسماء وبيّن منهجه في اعتماد المصطلح العلمي^(٤٥). وصنع الشريف الأدرسي (ت 560هـ/1166م) كتاباً جامعاً لصفات أشنات النباتات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمار والحشائش والحيوان، كان يقول عنه: وجعلته مصحفي: لكثرة

(٤٣) الوزير الغساني، حديقة الأزهار، 8.

(٤٤) الحسن بن البهلول، الدلائل، تحقيق يوسف حبي، الكويت 1987، ص16، وانظر أيضاً
Lexicon Syriacum auctore, Hassan Bar Bahlul, ed. R. Duval, Paris, 1903-1986.

(٤٥) محمد صالحية، فهرست مخطوطات، الفلاحة، النبات، المياه، الري، الكويت 1988م، 197.

رُجُوعِهِ إِلَيْهِ، مِنْهُ نُسَخَ فِي دَارِ الكُتُبِ وَالتَّوَاتُقِ القَوْمِيَّةِ بالقَاهِرَةِ تَحْتَ الأَرْقَامِ
1524ط، 4827ط، 4811، وَفِي تَرْكِيَا، اسْتَانْبُولَ خِرَانَةِ الفَاتِحِ بِالمَكْتَبَةِ
السُّلَيْمَانِيَّةِ رَقْمَ 3610، فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ، وَأُخْرَى فِي مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ اسْتَانْبُولَ رَقْمَ
1343. وَصَنَّفَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ الهَرَوِيُّ (ت 942هـ/1414م) "بَحْرَ الجَوَاهِرِ فِي
تَحْقِيقِ المُصْطَلَحَاتِ الطَّبِيَّةِ". وَهُوَ يَبْحَثُ فِي المُفْرَدَاتِ النَّبَاتِيَّةِ وَالحَيَوَانِيَّةِ وَالمَعْدِنِيَّةِ
مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَدْوِيَّةٌ مُفْرَدَةٌ، وَيَنْكَلِّمُ عَلَى مَعَانِي المُفْرَدَاتِ وَيَذَكِّرُ خِصَائِصَهَا
وَفَوَائِدَهَا. وَقَدْ رَتَّبَهَا عَلَى حُرُوفِ المَعْجَمِ.

وَمِنْ نَاحِيَّةٍ ثَانِيَّةٍ، فَقَدْ لَاحَظَ الوَزِيرُ العَسَانِيُّ (ت 1019هـ/1610م) مَا بَيْنَ
الأَعْشَابِ مِنْ قَرَابَةِ طَبِيعِيَّةٍ، فَخَطَا بِعِلْمِ النَّبَاتِ خُطُوَةً إِلَى الأَمَامِ وَذَلِكَ بِفَضْلِ دِقَّةِ
مُلاَحَظَتِهِ، وَتَمَكُّنِهِ مِنْ عِلْمِهِ وَحُسْنِ انْتِفَاعِهِ بِالمُؤَلَّفَاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ مِثْلَ كِتَابِ
النَّبَاتِ لِأَبِي حَنِيفَةَ الدِّينُورِيِّ، وَكِتَابِ عُمْدَةِ الطَّبِيبِ فِي مَعْرِفَةِ النَّبَاتِ، وَاسْتَخْلَصَ
بِوَضُوحِ فِكْرَةِ التَّسْلُسْلِ فِي خِصَائِصِ النَّبَاتِ مِنْ جِهَةٍ، كَمَا أَدْرَكَ مَفْهُومَ القَرَابَةِ
القَائِمَةِ بَيْنَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ بِحَيْثُ يَضُمُّهَا تَحْتَ تَسْمِيَةٍ وَاحِدَةٍ بِوَسَاطَةِ تِلْكَ
المَجْمُوعَاتِ الَّتِي اصْطَفَاهَا.

وَقَدْ تَجَلَّى العَسَانِيُّ فِي اصْطِنَاعِ النِّظَامِ التَّصْنِيفِيِّ مِثْلَ جِنْسِ اليَقُطِينِ، فَقَدْ
ضَمَّ إِلَيْهِ القَرَعِ، الدُّبَا، القَنَاءِ، الخِيَارِ، البَطِّيخِ، الحَنْظَلِ وَمَا إِلَيْهَا، وَاهْتَدَى إِلَى
ابْتِكَارِ مُصْطَلَحَاتٍ عِلْمِيَّةٍ لِبَعْضِ الفِصَائِلِ وَالأَجْنَاسِ، مِثْلَ الفِصِيلَةِ الفَرَنْيُونِيَّةِ،
سَمَاهَا العَسَانِيُّ وَبَعْضَ مَنْ سَبَقَهُ جِنْسَ اليَتُوعِ، وَهُوَ كُلُّ نَبَاتٍ لَهُ لَبَنٌ يَسِيلُ إِذَا
قَطِعَ، وَاليَتُوعَ لَفْظًا سِرْيَانِيًّا مُعَرَّبًا، وَاسْتَعْمَلَ الوَزِيرُ العَسَانِيُّ العَدِيدَ مِنْ
المُصْطَلَحَاتِ لِبَيَانِ الفِصِيلَةِ أَوْ الجِنْسِ فِي النَّبَاتِ مُسْتَلْهِمًا فِي الغَالِبِ، شَكَلَ

الأوزاق، أو خاصةً مُميّزةً في النباتِ على طريقةِ المُشابهةِ والمُشاكلَةِ، ومن ذلك، الكُوفُ، السُّيوفُ المُترسّاتُ، الهدبَاتُ، الصّعَاترُ، البَقْلُ، اللَّبْلَابُ، الدِّيسُ^(٤٦).

أما داوُدُ بنُ عُمَرَ الأنطاكيِّ (ت 1018هـ / 1599م) فَقَدْ وَضَعَ مُعْجَمًا لِلْمُفْرَدَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ، اسْتَعْمَلَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ مِنْ كُتُبِ الْأَفْرَابِذِيَّاتِ وَكُتُبِ التَّرَاكِيِبِ وَالْكَنَاشَاتِ، وَكَانَ يَرُدُّ الْخَطَأَ الْوَاقِعَ فِي كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ^(٤٧)، وَأَبُو الْبَقَاءِ الْحُسَيْنُ الْكُفَوِيُّ (ت 1095هـ / 1683م) صَنَّفَ الْكَلِمَاتِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، جَمَعَ فِيهِ مَا فِي مُؤَلَّفَاتِ الْعُلَمَاءِ فِي الْفُنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ. وَجَاءَ مُحَمَّدٌ عَلِيُّ الْفَارَقِيِّ التَّهَانَوِيِّ (ت 1158هـ / 1745م) لِيَصْنَعَ مُعْجَمًا لُغَوِيًّا إِصْطِلَاحِيًّا، رَتَّبَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِاعْتِبَارِ أَصْلِ الْمَوَادِّ، جَمَعَ فِيهِ مُصْطَلَحَاتِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفْثِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ وَعَظِيمًا، فَيُشْرَحُ الْمُصْطَلَحَاتِ حَسَبَ كُلِّ عِلْمٍ.

وَبَظَلَّ لِكِتَابِ مَفَاتِيحِ الْعُلُومِ، لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْخَوَارِزْمِيِّ، أَهْمِيَّتُهُ فِي بَابِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، فَقَدْ كَانَ جَامِعًا لِمَفَاتِيحِ الْعُلُومِ وَأَوَائِلِ الصَّنَاعَاتِ، وَتَضَمَّنَ الْمَوَاصِفَاتِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ الَّتِي خَلَّتْ مِنْهَا أَوْ جُلُّهَا الْكُتُبُ الْحَاصِرَةُ لِعِلْمِ اللُّغَةِ. حَتَّى لِيُظَهَرَ اللَّغَوِيُّ الْمُبَرَّرُ فِي الْأَدَبِ كَالْأَمِيِّ الْأَعْتَمِ عِنْدَ نَظَرِهِ فِيهِ، وَأَوْضَحَ الْخَوَارِزْمِيُّ مَنَهَجَهُ فِي وَضْعِ الْمُصْطَلَحَاتِ، حَيْثُ لَمْ يَشْغَلْ بِأَلْهِهِ بِالتَّفْرِيعِ الْمَفْرُطِ وَلَا

(٤٦) الغساني، أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم، الوزير، حديقة الأزهار في ماهية العشب

والعقار، حقه وعلق حواشيه محمد العربي الخطابي، بيروت، 1405هـ/1985م.

(٤٧) الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، 34، نقد الأنطاكي كتاب ما لا

يسع الطبيب جهله، ليوسف بن إسماعيل الخوئي ت 756هـ/1355م. مخطوط، منه

نسخة بالظاهرية، رقم 9086، 9951، 6753 طب، 3167 طب والمكتبة المارونية

بحلب رقم 562. والخزانة الأحمدية، 1262، وبايزيد عمومي باستنبول، 2538، وكوبريلي

زاده باستنبول رقم 193، والسليمانية، رقم 2491، وأسعد أفندي، باستنبول رقم 1032،

وغيرها.

الاشتقاق البارد ولا بإيراد الحجاج والشواهد، ذلك أن أكثر هذه الأوضاع، كما يصفها الخوارزمي، أسامي وألقاب اخترعت، وألفاظ من كلام العجم أعربت^(٤٨).

ونظراً لأهمية الجهود التي بذلها ابن البيطار في وضعه للمصطلحات العلمية، فإنني أرى أن أفرد صفحات من هذه المحاضرة، متناوياً وضع المصطلح ليس إلا.

ومما يذكر أن ابن البيطار قد صنّف عدداً من المؤلفات في الطب والصيدلة نذكر منها:

١- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ضمنه رهاء ألف وأربعين مادة علاجية، رتبها على تسلسل حروف المعجم مع ذكر أسمائها باللغة اللاتينية والبربرية واليونانية والإسبانية الدارجة مع ذكر أوصافها الطبيعية، (ط في القاهرة، 1291هـ/ 1875م).

٢- تفسير شرح كتاب ديسفوريدس العين زربي، وكنا قد أشرنا إليه في محاضرتنا.

٣- قانون الزمان في تقويم الأبدان، منه نسخة في مكتبة جامعة أيسالا رقم .O.vet.8

٤- المعني في فن الطب. (في الأدوية المفردة)، منه نسخ في دمشق، الخزانة الظاهرية، 8397، ومكتبة جامعة استانبول رقم D.1.4740.A.Y، ومكتبة متحف الطوب قابي، رقم 7307 A2021، وباريس، المكتبة الأهلية، رقم 2990، 2991، وأخرى في طشقند، وبطرسبورغ، والمدرسة الحلاوية بحلب ومكتبة بلدية الإسكندرية، ومكتبة جامعة أيسالا، وغوته، وقد طبع باللاتينية سنة 1758م.

٥ - ميزان الطبيب، ومنه نسخة في مكتبة جامعة أيسالا، بالسويد، رقم 17، O.vet.

٦ - الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام، وقد أشرنا إليه سابقاً.

٧ - كتاب الدرّة البهيّة في منافع الأبدان الإنسانية، لم نعتز عليه حتى الآن.

من خلال بحثنا في عددٍ من تلك المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، نرى أن ابن البيطار قد اعتمد منهجاً في وضعه للمصطلح العلمي يقوم على، تجاربه الشخصية، وما عراه لنفسه بقوله "لي" وما حقهه ببحثه المتواصل خلال رحلاته الطويلة في أفريقيا وأوروبا وآسيا. يبحث عن أنواع النباتات والأعشاب ويجربها بنفسه، وما يصح عنه بالمشاهدة والنظر، ويثبت لديه بالخبر لا الخبر، فعند حديثه عن الكثار، وبعد أن أورد اسمه بلغاتٍ عدة وما ذكره عنه أبو العباس النباتي والأدرسي، قال:

لي، شاهدت نباته بأرض الشام بموضعٍ يعرف (بعلمين العلماء) بين نبات الدرّة، ورأيتُهُ أيضاً بموضعٍ آخر من بلاد الشام يعرف بقصر عفرأ، بقريّة بالقرب من نوى^(٤٩).

وعن الأمازيغين يذكر، قد عدّه جماعة من التراجمة في أنواع الأفيون، ومن أجل ذلك نجد في كثير من الكنائيس الموضوعّة في هذا الفنّ، منافع أمازيغية هذا المذكورة مع الأفيون.

وفي الحقيقة ليس هو من أنواعه، وعندي أنه من نوع الفيصوم، ويؤكد ذلك بعبارة "عرفه بعينه"^(٥٠).

(٤٩) ابن البيطار، الجامع، 5/1.

(٥٠) ابن البيطار، الجامع، 56/1.

ويُوردُ ابنُ البيطارِ أنَّ أوَّلَ مُشاهداتِهِ لِدَوَاءِ العاقِرِ قرحاً فُورترنُ (يوناني)، بأعمالِ أفريقيَّة، بظَاهِرِ مَدِينَةِ ِ يُقالُ لَهَا فُسطينةُ الهوى بالجانبِ القِبليِّ مِنْهَا، بِمَوْضِعٍ يُعرَفُ بِضَيْعَةِ لُواتِهِ، وَمِنْ هُنَاكَ جَمَعَهُ وَعَرَفَهُ بِهِ العُرْبَانِ، وَهَذَا غَيْرُ الدَوَاءِ الَّذِي فَسَّرَهُ التَّرْجِمَةُ بِهَذَا الاسمِ، وَهُوَ عودُ القَرَحِ الجَبليِّ المَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ دِمَشقَ، وَيَقُولُ عَن عودِ القَرَحِ الجَبليِّ، "رَأَيْتُهُ وَجَمَعْتُهُ بِظَاهِرِ دِمَشقَ فِي رَأْسِ وادِي بَرَدَى يُعرَفُ بِبَابِلِ السُّوقِ، عَلَى يُسْرَى الطَّرِيقِ، وَأَنْتَ طَالِبُ الزَّيْدَانِي". وَكَانَ هَذَا عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي وَصَفَهُ بِهَا ديسْفُورِيدِس، وَيُنَبِّئُهُ الطَّالِبُ بِقَوْلِهِ "فَاعْرِفْ ذَلِكَ وَتَحَقَّقْهُ"^(٥١).

وَهُنَاكَ مَصَادِرُ أُخْبِرُهُ بِهَا النِّقَاتُ مِنَ البَاحِثِينَ وَالمُشْتَغَلِينَ بِالنِّبَاتِ، فَقَدْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ لِاصطِلاحِ التَّنْبِلِ، يَغْلَطُ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ رِقَّةٌ يَشْبَهُ وَرَقَ الغارِ، وَإِنَّمَا هُوَ المَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ البَصْرَةِ بِوَرَقِ القُمَارِيِّ لِأَنَّهُ يُجْلِبُ مِنْ بِلَادِ القَمَرِ، فِيمَا أُخْبِرُهُ بِهِ النِّقَاتُ^(٥٢) بَعْدَ خَفْضِ أوزاقِهِ بِالعَسَلِ، وَتَانْبُولُ وَتَامُولُ لُغَتَانِ فِيهِ. وَحِينَ شَرَحَ فَوَائِدَ الكُرْنَبِ البَرِّيِّ، أَشَارَ إِلَى مَا أُخْبِرُهُ بِهِ مَنْ يَتَّقُ بِهِ وَهُوَ تاجُ الدِّينِ البُلْغَارِيِّ، وَالَّذِي أَقَادَ بِأَنَّهُ يَكْثُرُ بِظَاهِرِ مَدِينَةِ الرُّها، بِضَيْعَةٍ مِنْهَا تُعرَفُ بِالقُنَيْطِرَةِ، تَنْفَعُ عُرُوقَهُ فِي التَّخْلُصِ مِنْ نَهْشَةِ الأَفْعَى^(٥٣).

وَكَذَا مَصَادِرُ كِتَابِيَّةٌ، مِثْلُ المُوَلَّفَاتِ فِي الطَّبِّ، وَالمُفْرَدَاتِ الدَّوَائِيَّةِ وَكُتُبِ النِّبَاتِ الَّتِي اطَّلَعَ عَلَيْهَا، وَكُتُبِ الأَغْذِيَّةِ، وَقَدْ اسْتَوْعَبَ القَوْلَ فِي كَثِيرٍ مِنَ المِصْنَفَاتِ فِي تِلْكَ الأَبْوَابِ، وَيَكْفِي الإِطْلَاعُ عَلَى أَيِّ مُصَنَّفٍ وَضَعَهُ لِتَنْبِيْنِ كَثْرَةِ المَصَادِرِ الَّتِي دَرَسَهَا وَنَقَدَهَا وَصَحَّحَهَا، وَمَنْ وَجَدَهُ عَدَلَ فِيهِ عَن سِوَاءِ الطَّرِيقِ وَنَبَذَهُ، وَلَمْ يُحَاطَ فِي ذَلِكَ قَدِيماً لِسَبْقِهِ، وَلَا مُحَدَّثاً اعْتَمَدَ غَيْرُهُ عَلَى صِدْقِهِ. وَكَانَ يُبْنِيهِ عَلَى كُلِّ دَوَاءٍ وَقَعَ فِيهِ وَهُمْ أَوْ غَلَطَ فِيهِ المُتَقَدِّمُ أَوْ المُتَأَخِّرُ، لِاعْتِمَادِ أَكْثَرِهِمْ عَلَى الصُّحُفِ وَالنَّقْلِ وَاعْتِمَادِهِ هُوَ عَلَى التَّجْرِبَةِ وَالمُشَاهَدَةِ، فَحِينَ عَرَضَ لِلنَّافِثِ،

(٥١) ابن البيطار، الجامع، 115/3.

(٥٢) ابن البيطار، الجامع، 134/1.

(٥٣) نفسه، 60/3.

والذي يُسمّى بالشوكة المُنْتَنَة أو شجرة البراغيث والعزج بلهجة أهل اليمن، والطباق والبرهان بالبريرية، و Euqparium Cannabinum باللاتينية، أورد عبارة (لي): وَقَالَ: قَدْ كَثُرَ الاختلافُ في هَذَا النَّبَاتِ بَيْنَ الْأَطْبَاءِ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ لَهُ حَقِيقَةً عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَأَطْبَاءُ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَأَفْرِيقَةَ يَسْتَعْمِلُونَ مَكَانَهُ الْمُسَمَّى بِالْبَرِيرِيَّةِ الْبُرْهَلَانَ وَهُوَ الطَّبَاقُ رَجَعُوا فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ إِسْحَاقَ ابْنِ عِمْرَانَ، وَأَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ، وَهَذَا غَلَطٌ مِنْهُمْ فَاجْشُ، لِأَنَّ الْبُرْهَلَانَ قَدْ ذَكَرَهُ دِيسْقُورِيدِسُ فِي الثَّلَاثَةِ وَسَمَّاهُ بِالْيُونَانِيَّةِ فُوتِيرًا وَهُوَ الطَّبَاقُ بِالْعَرَبِيَّةِ.

وَهَذَا اسْمُهُ أَوْفَاطُورِيُونُ بِالْيُونَانِيَّةِ، وَأَطْبَاءُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ - أَعَادَهُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ - يُسَمُّونَهُ الرَّغِيدَةَ بِعُجْمَةِ الْأَنْدَلُسِ، وَأَمَّا أَطْبَاءُ الْعِرَاقِ، وَالشَّامِ وَالدِّيَّارِ الْمِصْرِيَّةِ فَلَيْسَ يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرْنَا، وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ نَبَاتًا آخَرَ شَدِيدَ الْمَرَارَةِ، لَهُ زَهْرٌ أَرْزَقُ إِلَى الطَّوْلِ مَا هُوَ، وَلَهُ قِصَبَاتٌ مُدَوَّرَةٌ دِقَاقٌ تُشْبِهُ الدَّقِيقَ مِنَ الْأَسَلِ.. الخ. وَيُنْهِي تَعْلِيْقَهُ بِقَوْلِهِ "فَاعْلَمَهُ"^(٥٤).

ثُمَّ قَيَّدَ كُلَّ مُصْطَلَحَاتٍ مُفْرَدَاتٍ الْأَدْوِيَّةِ بِالضَّبْطِ وَالشَّكْلِ وَالنَّقْطِ نَقْيِدًا يُؤْمِنُ مَعَهُ مِنَ التَّصْحِيفِ وَيَسْلَمُ قَارِنُهُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، إِذْ كَانَ أَكْثَرَ الْوَهْمِ وَالْعَلْطِ الدَّاخِلِ عَلَى النَّاطِرِينَ فِي الصَّحْفِ هُوَ مِنْ تَصْحِيفِهِمْ لِمَا يَقْرَأُونَهُ أَوْ سَهْوِ الْوَرَّاقِينَ فِيمَا يَكْتُبُونَهُ، وَمِنْ ثَمَّ قُرْبَ مَا خَذَهُ بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، لَيْسَهُلَ عَلَى الطَّالِبِ مَا طَلَبَ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا عَنَاءٍ.

هَذَا إِضَافَةٌ إِلَى ذِكْرِ الْمُصْطَلَحَاتِ بِمَا يُقَابِلُهَا فِي الْأَلْسِنِ الْأُخْرَى، مِنْ بَرِيرِيَّةٍ وَلاطِينِيَّةٍ وَيُونَانِيَّةٍ وَقِبْطِيَّةٍ وَنَبْطِيَّةٍ وَأَرَامِيَّةٍ وَفَارَسِيَّةٍ وَغَيْرَهَا. وَلَا يُقَدَّرُ الْجُهْدُ وَالْمُعَانَاةُ وَالْاجْتِهَادُ الَّذِي قَدَّمَهُ ابْنُ الْبَيْطَارِ إِلَّا مَنْ عَمَّقَ نَظْرَهُ وَتَوَقَّفَ مُتَّفَكِّرًا بِكُتُبِهِ الَّتِي مَا تَرَّالُ تَنْتَظِرُ الْبَاحِثِينَ الْمُجِدِّينَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ جَمَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ وَاشْتَغَلُوا بِهِ "بَنَاتُ أَفْكَارِهِمْ وَكُتُبُهُمْ هُنَّ جُلَّاسُهُمْ".

وَهَلْ لِي الْقَوْلُ: إِنَّ الْعُلُومَ الَّتِي نَقَلْتُ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ. دَانَتْ وَحَلَّتْ فِي
الْأَفْنَدَةِ وَسَرَتْ مَحَاسِنُ اللُّغَةِ مِنْهَا فِي الشَّرَائِبِ وَالْأَفْنَدَةِ.

وَحَقًّا إِنَّ الْعِلْمَ كَانَ يَثْبُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَثَبًّا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَطِنْتُهُ قَدَمُ الْفَاتِحِ
الْعَرَبِيِّ، يَنْشُرُ الْإِسْلَامَ، وَيُعَرِّبُ عَجْمَةَ الشُّعُوبِ بِلُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَإِنْ أَصَبْتُ فَهَذَا
مَا قَصَدْتُ.

وَالْأَفْلَانَا أَجْرُ الْمُجْتَهِدِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.